428003 ـ ما المقصود بحديث (مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ)؟

السؤال

أود رفع الإشكال الذي يراودني في الحديث التالي: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: (إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا لله تَعَالى، واللَّه لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُم بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرجْتُمْ إِلى الصُّعُداتِ تَجْأَرُون إِلى اللَّه تَعَالَى) رواه الترمذي، وَقالَ: حديثٌ حسنٌ. كيف نجمع بين كون الملائكة مخلوقات عظيمة، وبين أنه يمكنها أن تسجد في مسافة صغيرة قدرها أربع أصابع؟ أنا أعرف أنه من الأفضل ألا يدخل الإنسان بعقله في الأمور الغيبية، لكن من باب دفع الشبهات التي يتلقاها المسلم في حياته.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

روى الترمذي (2312) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ.. .

وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ".

المتبادر إلى الذهن من عبارة: مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ.

هو بيان كثرة الملائكة عليهم السلام وملازمتهم لعبادة الله تعالى.

وهذه العبارة لا إشكال فيها؛ لأمور:

الأول: الملائكة ليسوا كلهم على خلقة واحدة.

قال الله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فاطر/1.

والله تعالى لم يفصل لنا خلقة هؤلاء الملائكة العابدين، فلا نستشكل أمرا نجهل حاله.

الأمر الثاني:

أن هيئة الملائكة عليهم السلام لا تقاس على هيئة البشر، لأن الله تعالى أعطاهم قدرة على التشكل في ألطف هيئة، فهذا جبريل عليه السلام العظيم الخلقة.

روى البخاري (3232)، ومسلم (174) عن أَبي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيّ، قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ: " رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ".

وروى الإمام مسلم (177) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى.

قَالَتْ: " إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ".

فمع عظم هذه الخلقة كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم على هيئة رجل.

كمثل ما ورد في حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: " أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمِّ سَلَمَةَ: (مَنْ هَذَا؟)

قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قال فقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ايْمُ اللَّهِ! مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ عن جِبْرِيلَ" رواه البخاري (3634)، ومسلم (2451).

الأمر الثالث:

الحديث لم ينص على أن لكل ملك مساحة أربع أصابع لا يتجاوزها، بل الذي يظهر من لفظه، أن مساحة أربع أصابع رغم شدة صغرها مقارنة بسعة السماء، لا تكون خالية، بل جميع مساحة السماء معمورة بالملائكة العابدين لربهم سبحانه وتعالى، بحيث إنك لو نظرت إلى الفاصل بين ملك، وملك، لم تجده يبلغ "أربعة أصابع"؛ ولا تعرض في ذلك إلى المساحة التي يشغلها الملك في سجوده. وهذا واضح إن شاء الله.

والله أعلم.